

## البناء

## ثقافة وفنون

# 7

### «كان هذا سهواً» لأنسي الحاج؛

### عبث بمصادر الضوء وزوايا الظلال خارج الأطر

الصادق الرضي

الأثر الذي نحته أنسي الحاج في الشعر المكتوب باللغة العربية «أثر لا ينسى»، بصمة شخصية معقدة التركيب سعت إلى أن تستأثر بالعالم حياً في لغة صقلية وموجزة؛ أثر ناجز لا كما يفعل الحواة باللغة، ربما كما يفعل الحيّ باللغة ويخلقها ساحرة كما يشتهي الحياة وبحرس كل تفاصيل خلقها بين يديه، ربما كانت تلك لعبته المفضلة: خلق الصورة بلا إطار وتاملها في مرآة تسيل منها الصور مسكوبة على المعنى، وهو يتخلّق معزولاً في شمية لا ترى قبل أن تنشأ كأنثا من لحم ودم الموسيقى والفلسفة، بلا نسب سوى الاكتناز بحياة جمالية محضه وفارغة بالمعاني والمعرفة، بحياة خبيزة بأحاديث الحياة تسفر ساخرة من حقيقة الموت الفيزيائي للشاعر وتنتصر لخلود الكلمة، خلود الأثر المنحوت في الذائقة النادرة، أثر الشاعر ليس في الكتاب أثره في وعي القارئ المستحق الذي يتمثل النص في نظرته الشخصية للكون والعالم، في تملّك حياة الصورة المنحوتة بحد أصيل والعبور بها سهواً إلى تفاصيل حياته اليومية، هل حياته الباطنية أجدر بكنز فيوض النص والزهو بها في الشوارع وغزل الحبيبات ومناكة الأيديولوجي في البشر والكانات ومنازعة الأسلاف في كأس السم الفلسفي العريق نزقا نحو طلب الحقيقة وأضدادها، في صورة إبداعية لم تخطر من قبل لخالق يعبث بمصادر الضوء وزوايا الظلال، خارج أي إطار.

### كتاب من ذهب

ندى الحاج تبشر الكتاب تحت عنوان «كتاب من ذهب» بخطاب جيّاش العاطفة لأنسي الحاج، تعرّس له ضمير الخطاب، وهي رسالة رسولية من واقع أنها تتخلّق مسؤولية التليغ بكتابه الآخر: الكتاب الذي بين أيدينا الآن، كان مخلوطاً بمعبراً قبل أن ينسج كامل الرسالة بتحريره، لم يحرس الكاتب نفسه في أيامه الأخيرة على أن تفسه دفناً كتاباً، ربما تكاسل عامداً. كما توجي لنا كاتبة نص المقدمة، في نصها الموجز والمكثف: «كم تبرزت من إنجاز هذا الكتاب بحجّة الوقت والظروف؛ لا تخفل عن كونها شاعرة أيضاً. ويحق لنا قبل أن نقرأ الكتاب أن نلحق قليلاً، حول كتاب يتضمّن نصوصاً غير منشورة لإصدار كتاب جديد لكاتب مثل أنسي الحاج ثم توليفها في كتاب قليلة حملت بصمة فخره وروحته؛ أول سؤال يتبادر للذهن بالطبع: من هو صاحب السطوة والجرأة لإصدار كتاب جديد لكاتب مثل أنسي الحاج من أثر مخطوطاته التي لم تنشر تحت إشرافه وتدقيقه الشخصي في كتاب، على إثر رحيله الفيزيائي المائل منذ سنتين، من هو الذي جرّأ على تبويبه وإجتراف مقامات مداخله ومفصلاتها الدقيقة في جسم إبداعية ينتهي لميدعه الخالق، ويمحنته اسمه بالضرورة؟»

تكتب ندى الحاج، في تصديرها الكتاب: «حافظت على تقسيم فصول الكتاب تحت العناوين التي اختارها بنفسه، أما عنوان الكتاب فاستلمته من مضمونه ومن كلماته هو، وحياته التي هي «حيات من الملح ويضع نقاط من البخار»، وندى الحاج في تصديرها للكتاب، تبدأ نصها موجهاً لأنسي الحاج شخصياً في لغة جيّاشة العاطفة قبل أن توجه خطابها للقارئ ومن ثم تعود موجّهة خطابها له، ليس بوصفها شاعرة وكاتبة وليس بوصفه المعروف كتشاعر وكاتب، بل بصيغة أكثر حميمية، حيث تبدأ عبارتها الخاتمة بدأبي غطيتني بعباءة كالتحمني من صفع غيابك، منحنتني سقفاً يقيني شرّ التشرّد».

### غيوم، يا غيوم

القصيدة الوحيدة ضمن متن الكتاب هي قصيدة «غيوم»، الكتاب الذي بنى على ستة فصول هي: ميثاقك ودين، ذات، سلوك، أدب، فنّ، حبّ؛ القصيدة التي أشار لها



انطلاقاً من العقولة، نقرأ سرّ مغامرة كلّ من المرأتين. والذي يتجلّى بان صراعا داخلياً يكمن في روحيهما الحاملتين الرغبة. أو دافعا دفيناً بان تشتهي وتحب وتمتلك جسدياً، وذلك منبته دوافع فيزيولوجية متصلة في طبيعة المرأة كائنات. (وأيضاً يمثل الجانب السيكولوجي العربية التي تتحكّم بكل كيانها الفيزيولوجي، فإما أن توجّهها نحو إشباق لذتها أو كبحها. وهنا في هذه الرواية، يصور قوة غريزتها والدافعية التي تجعلها تضرب بعرض الحائط تحديبات المجتمع والثقافة التي تكبح جماع هذه الشهوة المتأصلة فيها). وهذا ينطبق على الشباب المغامر، شغف المغامرة، ما يؤكد هنا أنّ غريزة النفس هي ذاتها، ممكن الحب أو الجريمة.

الروائي الكبير غوريكي قال إنه لا يتذكر أنه قرأ أعمق من تلك المروية. بالتأكيد كان يقصد عمق التحليل النفسي لبواطن النفس البشرية، التي اجترعها زفانج التي فاقت جمالية أسلوبه السردي كل الرواة. والتي اتاحت للقارئ الاستمتاع بما قرأ. في الخلاصة، والتي قد تنسّف كل ما تقدّم، وذلك من خلال السؤال الذي لم يطرح خلال العقود السالفة، وهو أنّ السيدة التي حاولت إنقاذ المغامر، صرّحت بأنها سألت ذات مرة عن مصيره، إذ وصلها الجواب المتوقع بأنه مات انتحاراً. وللبيان، أنّ رواية «24 ساعة في حياة امرأة»، هي آخر ما كتبه ستيفان زفانج قبل انتحاره هو زوجته وكلبه. والسؤال الآن: هل تقمص ستيفان دور المغامر؟



عشريتي، خرج للثو من خسارة كبيرة. وقد قرأت ملياً بأنه متّجه لوضع حدّ لحياته، فتدخلتتهه من هاوية الانتحار وتمضي معه يوماً كاملاً وتُسبّع لذته. وهو ما يُعدّ خرقاً فادحاً لإمراة من الطبقة الأرستقراطية آنذاك. ولم يتوقّف الأمر هنا، بل قرّرت تسديد كل ديونه مقابل أن يترك المغامرة ويعود إلى بلاده، حيث ذهب معها إلى الكنيسة وأقسم بأنه لن يرتاد أماكن القمار مرة أخرى. ثم أنها ذهبت إلى محطة القطار وقطعت له تذكرة للسفر والإبتعاد من هنا. لكن هناك هاجسا دغدغ هواجسها جعلها توضع حقائقها لتلحق به، ما حدا بها التوجه إلى المحطة للمغادرة، لكن الحظ شاء أن يغادرها القطار، لتعود مكسورة إلى الفندق فتفاجأ مصعوقة بأن توبة صديقتها كاذبة، وأنه عاد إلى المغامرة من جديد، إنما بنقودها هذه المرّة.

وفي القصة الثانية، تجنذب امرأة لشاب وقع بها وسعى إلى خوض مغامرة تبادل الحب معها. وتتسلّم له وتوهن أمام لفح شهوته. لولا ابنتها البالغ 12 سنة، الذي يمنعهما من الخوض في هذه المغامرة بلامرئته إياها وعدم تركها وحدها كغريسة خضوة في لذك الشاب المتعشش لإرواء نزوته. إعادة هدوء وقوة ملائكية يقول ستيفان في إحدى مقالاته: للحبّ القوة الملائكية نفسها التي تدفعنا إلى فعل المستحيل. للحب القوة نفسها في إعادة الهدوء وتخلّي التضحية والقداء. ليس كل ما يستطيع الإنسان تحقيقه يتأتى بالسهولة نفسها التي يتأتى بها مع الشعور بتلك القوة المستخدمة من الحب.

## «عين نحّات أعمى» للشاعر المغربي محمد العناز... إبدالات المعنى



أحمد الشباوي\*

بدورها الهامات الأقدر على مجابهة التحشّب الأتنيّ سلاح أو بيدن ابتكار المعنى على نحو فلسفي صاعق باتجاهات دلالية طامعة بضبابية الملقس المتصل بعوالم العدم إن بشكل أو بأخر، تنزع صوب استهلاك ألوان الهرطقة لإشباع القضي في الذات المثقفة بحمولة الموروث المؤرّق حدّ الاختناق بالمعاناة وماكيدة المختزل في مواقف الرفض الواعي، إذ تمرر عبر آعين جوانية أو مسامات السيق في شأن اقتراح بدائل جمالية لا تستنسخ الذاكرة.

ببساطة، إنها كتابة الانكسار وفق ما تملبه خريفية المشهد الملتهب ببلاغة القول الشعري المعرق في وحدة الموضوع بغرض مقاربة الخبايا واستنطاق المكنون. تلكم قوالب التشكيل التي تستقرّ قواميس النهل من التناسلات الأشدّ التحاما وتبعية لصميم الواقعية التي تدمي الإنسان وتبرز مدى تراخي آفاق التصنّع الأدمي كتحذ مياغت وخطير بتلبس بعطشه لحظتنا، فنتحجّر الأحاسيس ويتبع الأكية فينا كل غصّ وطقولني وينيل.

ثم تتعشق الممارسة الإبداعية الرصينة والانسكباب الروحي في ملكوتها الهامس بفزحية المفردة وعمق الرؤيا وزينقية الضمني المغرّدة به منظومة الانزياح والومضات والاستعارة الكلية، الممهدة لمناخ تقاطر متتالية رسائل تهذب الذائقة، وتتواش الرهان وتجرح ضمادات مطيتها الحكي في ملامسة الجوهر الإنساني وترصد ملامح المفقود. هنا، ينفض الوضوء الوظيفية النصية، متجاوزاً مستويات المماثلة إلى غلغ مقبول يبدّر التشبيهات الواشبة بمنحى السياق الإجمالية للاضومضة متشفووعا بالتدرج والتراتبية المراوحة بين العدّ التنازلي تارة، وتصاعديته أخرى، ضمن فعل تربية التيمات وإماطة الأذقعة الظاهلية عما يحوّل رسم دورة كاملة والعتاف حلزوني رابط بمرزمية العنونة «عين نحّات أعمى».

كذلك هي درامية المشهد المشعر على أسلوبية مخاطبة للبصيرة فينا والشاحذة للطائفة الكاملة من خلال تفجير عناصر الإرباك باحتكاك مخملي عاكس لقوق الصوت الداخلي الذي يمتلك شاعرنا وهو يعلن تشظيه

بالتماهي، بل بالانصهار في مستنقع أصداء انهيار العالم عبر بوح شجي صادم. العين الثقب في الجدار قائمتي اطول لكنّها ستأمن من ظلام لا شمس لانسمة ريح مجرد أسياخ يينها إسمت لبديّ نجد هذه الوضوء وبقد من صمعت عن جرد تبعات المعاشية الوجدانية والرعاية المرزمية لإقحام «لا» مزدوجة تقديداً بطقنيات الاسترسال في نفس التشويق وإيقاعه حتى آخر صورة شعرية من الديوان... نجدها اقتضت الاحتفاء بشتى معاني «عين» في خضمّ نسج كلامي تتسكعه ظلال النظام نور/ظلام، والميؤوث آهاً وغصصا مع تفاوت في النسب ليشغل جسد النص برهته وليمعن في دوخة ذاتية يينها رامن التصلب البليد.

ثقب هو يوميّتي التي لأزاق لها كلما رفعت رأسي تذكرت أنني أقيم بين حذين: حدّ الظلام

وحّد شبيهه ثقب في الجدار قله في رأسي ورائحة الشارع تخرج من ذاكرة تطل على كأنني أقيم في بئر لا قرار له الأصوات تأتي من بعيد مختلفة صبيغ بلاط لا لون له كلما رأيت الثقب بعينه أدركت أنني جزء من أجساد مرت من هنا نامت على الصميم وافترش جلداها يبابي أن ينتهي... وعتد إيقاع زمن متشابه حين أتعب، ويتاح للجدار أن يكون صديقاً أرمس بأفطاري ألف ثقب أطل منه على داخلي، تتخلّى ألف معجزة ألف مصادقة لأن أكون

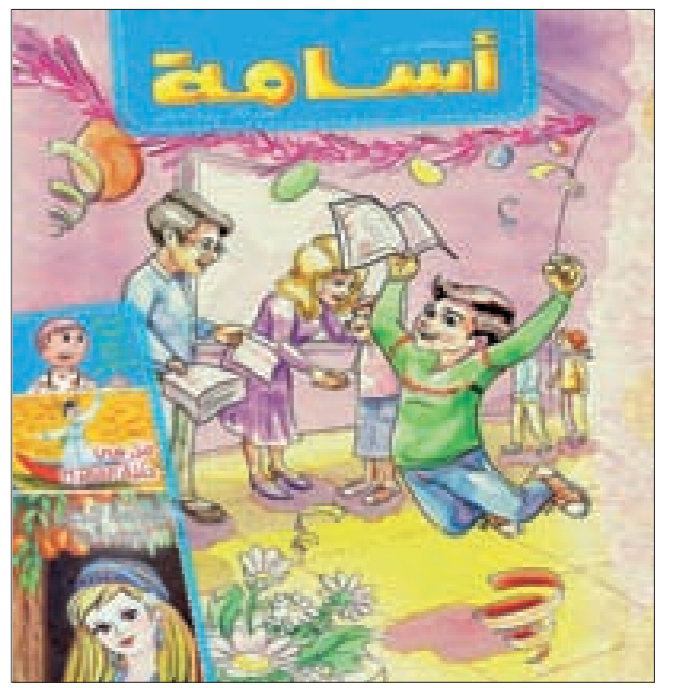
## أشعار ومواضيع متنوعة للأطفال في العدد الجديد من مجلة «أسامة»

محمد خالد الخضّر

أحتوى العدد الجديد من مجلة «أسامة» عدداً من قصائد شعر الأطفال وسيناريوات القصص المصوّرة وبعض المقالات وأنشطة الأطفال والألعاب الرياضية.

على الغلاف، قصيدة بعنوان «يوم النجاح» لرئيس تحرير المجلة الشاعر قططان بيرقدار، يُظهر فيها مدى أهمية النجاح في حياة الأطفال وأسرهم ووطنهم بأسلوب موسيقي مبسط يدل على قدرة عالية في صوغ شعر الأطفال، والتقرب من ذلتهم فيقول:

أجمل يوم يا أصحابي يوم نجاحي في مدرستي كنت سعيداً أعدوا أملاً والبسملة لم تبح شفتي

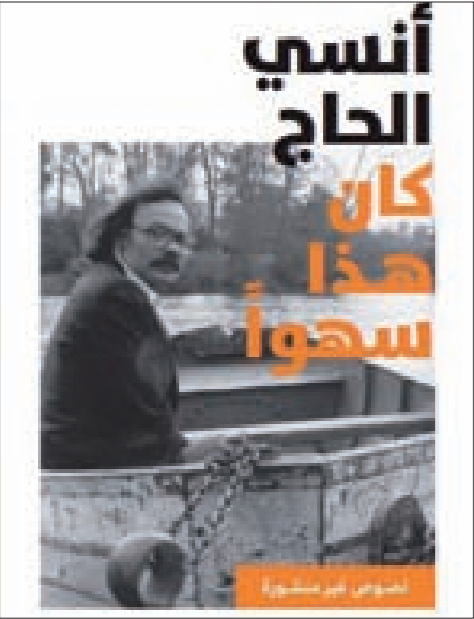


جاء الأستاذ بيشرنا ونرى بيديه صحائفنا وينادي بنا فرداً فرداً يبحو في الحال محاوفاً. أما الشاعر أدم حواط في قصيدته «مسخر رمضان»، فتحدّث عن دور المسخّراتي كطقس اجتماعي ثابت اعتاده الناس خلال شهر الصيام لإيقاظهم في موعد سحورهم: رجل ياتي كل سحور يشي في الطرقات وحيداً ويصوت عذب يوقظنا ثم يسير هناك بعيداً فتمّ لي أن أبعده يوماً إذ كان يمي من الحارة فسمعت له صوتاً حلواً يسلم في ليلى كمنارة.

وفي العدد قصة للأطفال بعنوان الأجنحة الصغيرة للأديب سامر الشمالي بين فيها مدى أثر الحرب على نفوس الأطفال، إضافة إلى قصة بعنوان «سرك الكوخ المهجور» ترجمة للدكتور علياء الداية، و«رحلة إلى العالم» إعداد سلمى قريبط، ومقالات عن هوايات الأطفال من إعداد دانا شياط.

وتضمّن العدد قصّتين مصوّرتين الأولى بعنوان «نوادير جحا» إعداد ورسوم عبد الوهاب الرجولة، والثانية بعنوان «مغامرات فضيحة» إعداد أريج بوادقجي.

ورافق مواضيع العدد رسومات فنية موزاية للمعاني لمستوى رفيع وقريب من ذائقة الطفل للفنانين: رامز حج حسين، أحمد حج أحمد، وائل علي، ضحي الخطيب، نجلاء الداية، غمار الشوا، ونسرين بعلبيكي.



في خاتمة الكتاب الشاعر والناقد اللبناني عبدو وزن في كلمته المعنونة «بخوانم الوداع»، كتب وزن: هذه آخر ما كتب أنسي الحاج من «خوانم» كتبها ووضعها على حدة. لم يشر أنّ يدرجها في جريدة الخوانم التي دأب على كتابتها في صحيفة «الأخبار» اللبنانية في السنوات الأخيرة. وبعضها أصلاً بدأ كأنه كتبه في لحظات الانسحاب التي دفعها إليها المرض بعد ما أزيد تقاعفاً، وهي كانت لحظات مواجهة سادرة لما شخبه شاعراً طوال حياته: الموت وبالسلطان. وهو كان خبر هذا المرض الشرس مرتين، مرّة مع أمّه باكراً ومرّة مع زوجته ليلى التي كتبت لها وعنها أجمل نصوصه، وشاء القدر أن تنشر بعد موته بين هذه خوانم.

القصيدة «غيوم» حين تقرأها تغرق وتستغرق في عوالم صاحب «لن» والرأس المطويع، و«ماضي الأيام الأتية»، و«ماذا صنعت بالذهب ماذا فعلت بالوردة»، والرسولة بشعرها الطويل حتى النبايع، و«الوليمة»، الأجدد بل أن تغرق وتستغرق في القصيدة، من دون الإصغاء لملاحظات الناقد وزن، أو أي ناقد حين يكتب عن شعر أنسي الحاج أو عن تفكيره حول الشعر وكتابته الأخرى التي لم تصنف شعراً في سلسلته الشهيرة «كلمات»، من ثلاثة أجزاء، أو كتابه «خوانم»، أجدد بك أن تقرأ القصيدة لخالها.

متن الكتاب «كان هذا سهواً» في فصوله جميعاً لا تلحظ فيه، في بناء الجملة، بناء النص مجعلاً، فرقاً بيّناً بين الكتابة الشعرية أو الكتابة النثرية، وهذا دأبه مبدعاً في نخته الدقيق، ربما يشغلك قليلاً للتبويب المباشر للقصود وقطعيتها الحادة، لكك حين تغرق وتستغرق في النصوص ذاتها، ستنسى أسماء الفصول، ربما تكفي فقط بسحر العبارة، حين يكتب أنسي الحاج يكتب ولا مجال للنقاد ولا مجال للتصنيف:

«لا أعرف إن كنت شاعراً، أحياناً أشك، واتفى عن نفسي الصفة. الشعراء مغنّون محبوبون بالأنثى، وأنا طافح بالشكوك والأشباح المخيفة للأطفال. الشعراء مبهجون أو كئيبون، وفي الحالين نايات أو كمنجات، إما على حبور مسلول وأما في اندحارات الشعراء عصافير، وأنا قليلا عصفور بين الأربب والقفذ. الشعراء لا يحقدون، لا يملقون في مراهيا البهل، لا يهدسون أنظمة للتناقض ماذا بقي؟ الكتابة. الشعراء يكتبون ما يحفظ، موزوناً مقفى، بسيطاً متدفقاً. وأنا أكتب نثراً بلا وزن ولا قافية، قليل البساطة أو عديمها، قليل العقوية أو عديمها، أنا نفسي لأحب أن أحفظ منه. لا أعرف ما أنا. ولم أتوقف عن المرور «إلى جانب» حياتي.»

## العدد 107 من «الدراسات الفلسطينية»... اعتقال الموت الفلسطيني

مغايرة لمركزية القدس: دروس من تاريخ المدينة» لعصام نصار، وتحقيق «غيوت مخيم شعفاط: عزل إسرائيلي وغياب فلسطيني رسمي» لهبة أصلان، وتقدير «القدس: ارتفاع معدلات التغلل الاستيطاني والإزاحات السكانية» لعبد الرؤوف أرناؤوط.

شهادتان في العدد 107: واحدة عن الفخّان الفلسطيني حسن حوراني، بقلم شقيقه خالد حوراني؛ والثانية لمعين الطاهر عن «سرايا الجهاد في فلسطين» وفي باب في الذاكرة يكتب هشام نشابة عن القاضي والحقوقي والمناضل محمد المحجوب، ويتضمن العدد قراءة خاصة ليرفان زريق عن «أولاد الغيتو اسمي آدم» تحت عنوان «كيف يتكلم معك الموت في مدينة القدس» يقرأ فيها حكايات آدم ندون ومدبنته اللد في داخل الكتابة الأدبية مضطها بحثاً عن المعنى الذي يتجلى في تشقّق الصمت وعجز الكلمات.

تشادان علاقته بالزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، في مقال بعنوان «أبو عمار كما يتذكره صديق تركي»، ويقدم منير شفيق «محاولة لتفسير ظاهرة العنف المتطرف» التي تنتشر في هذه الأيام، وتتناول نهوند القادري عيسى «الذاكرة الفلسطينية في ضوء التكنولوجيا الحديثة».

في سباب «دراسات» يكتب سليم تماري عن التباسات الهوية وأسلتها عشية الحرب العالمية الأولى تحت عنوان: «محمد كرد علي وشيخ جمال باشا: ملقف سورية وفلسطين بين هويتين: العثمانية والعربية»؛ وهشيدة غانم عن المصطلحات المفهومية التي رافقت وتراقق الاستعمار الاستيطاني الصهيوني تحت عنوان: «من الكيانية إلى البورية: تطوّر المفهوم الفلسطيني للاستعمار اليهودي في سياق متحوّل».

في ملف المجلة الدائم، «وقائع القدس» ثلاثة عناوين: مقال «رؤية

صدر العدد 107 (صيف 2016) من مجلة «الدراسات الفلسطينية» متضمناً ملفاً عن جريمة «اعتقال الموت الفلسطيني»، من خلال اعتقال جنامين الشباب والشبان الفلسطينيين منفذّي العمليات الفدائية، وتجميدها في معتقلات الموت «الإسرائيلية» المجلدة. ويضمّ الملف: دراسة لسهاد ظاهر ناشف: «الاعتقال الموت للجنايين الفلسطينية، تحليل الموت وتنتشي بيمالة سيزيكية مكرورة حماية لموسيقى العدم الصارخ بتجليات استرخاص الذات وبخسها حقها ومشروعية حملها بالانتصار على العالم وحيازة الأفضل.

بحيث لا انفصال - بالملق - عن النرجسية التي تختصر السر في الحاجة الماسة من لدن جيل الشاعر، إلى تنشيط البصيرة وتاجيج قديتها كعصب وشرط للخلاص الرامية إليه شعرية «عين نحّات أعمى»، ترعاها الدوال التي تغيد وتركي ضرورة تفجير البصيرة الإنسانية في كل نواة من الكامن فينا.

يذكر أنّ ديوان «عين نحّات أعمى»، صادر عن «دار النهضة العربية» - بيروت.

\* كاتب مغربي

